سلسلة الرسائل (٤٣)

مكة حرسها الله تعالى/١٤٤٥هـ

الخوف من يوم الحساب

للشيخة أم عبد الله بنت الشيخ
مقبل بن هادي الوادعي
حفظها الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

alwadei967.blogspot.com telegram.me/alwad3ya

الحمد لله رب العالمين، **وصلى الله وسلم** على رسوله ونبيه مُحَمَّد الأمين، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، **وأشهد** أنّ محمدًا عبده ورسوله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وصحبه وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الموقن بيوم القيامة تُسَهَّل له الأعمال الصالحات، وتُذَلَّل له طرق الخيرات؛ لأنه موقن بيوم القيامة، ويخاف ويتقي يوم القيامة، فيحفِّزه ذلك على الخوف من الموقف بين يدي الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

ويوم القيامة يوم قريب، يقول الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النجم].

أي: قربت الساعة.

وقال سُبحَانَهُ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: ١].

وقال سُبحَانَهُ: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [الأنعام: ١٣٤].

إنه يجب علينا أن نخاف من ذلك اليوم العظيم، وأن نخاف من سوء الحساب، يقول الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿* أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ

﴿وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد].

وفي صدر هذه الآيات الكريمات يبين ربنا سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أنه لا يستوي العالم والجاهل، كما لا يستوي الأعمى والبصير.

ثم قال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، أي: إنما يتعظ أصحاب العقول.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾﴾.

يوفون ولا يخلفون، كما هو شأن المنافق إذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر، وإذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان(١).

ويدخل فيه الوفاء بأوامر الله واجتناب نواهيه.

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ يصلون ما أمر الله بأدائه، والقيام بحقه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وحقوق خلقه.

ومنه صلة الأرحام والأقارب.

وأعظم حقٍّ لله علينا توحيده، وأن نجتنب الشرك بالله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى(٢).

---

(١) روى البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».

(٢) لقد ذكر سُبحَانَهُ وَتَعَالَى من أوصاف أولي الألباب: أنهم يصلون ما أمر الله به أن يوصل.

وهذه الجملة تحمل معاني كثيرة، تخفى على كثير، وهذا ما ذكر ابن القيم رَحِمَهُ الله في «عدة الصابرين»(٢٩) فقال: ثم وصفهم بأنهم يصلون ما أمر الله به أن يوصل.

ويدخل في هذا ظاهر الدين وباطنه، وحق الله وحق خلقه، فيصلون ما بينهم وبين ربهم بعبوديته وحده لا شريك له، والقيام بطاعته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، وحبه، وخوفه ورجائه، والتوبة إليه والاستكانة له، والخضوع والذلة له، والاعتراف له بنعمته وشكره عليها، والإقرار بالخطيئة، والاستغفار منها.

فهذه هي الوصلة بين الرب والعبد.

وقد أمر الله بهذه الأسباب التي بينه وبين عبده أن توصل، وأمر أن نوصِل ما بيننا وبين رسوله بالإيمان به، وتصديقه وتحكيمه في كل شيء، والرضا لحكمه والتسليم له، وتقديم محبته على محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، صلوات الله وسلامه عليه.

فدخل في ذلك القيام بحقه وحق رسوله.

وأمر أن نصل ما بيننا وبين الوالدين والأقربين، بالبر والصلة؛ وذلك مما أمر به أن يوصل.

وأمر أن نصل ما بيننا وبين الزوجات، بالقيام بحقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف.

وأمر أن نصل ما بيننا وبين الأرقاء، بأن نطعمهم مما نأكل، ونكسوهم مما نكتسي، ولا نكلفهم فوق طاقتهم.

وأن نصل ما بيننا وبين الجار القريب والبعيد، بمراعاة حقه، وحفظه في نفسه وماله وأهله، بما نحفظ به نفوسنا وأهلينا وأموالنا.

وأن نصل ما بيننا وبين الرفيق في السفر والحضر.

وأن نصل ما بيننا وبين عموم الناس بأن نأتي إليهم بما نحب أن يأتوه إلينا.

وأن نصل ما بيننا وبين الحفظة الكرام الكاتبين، بأن نكرمهم، ونستحيي منهم كما يستحى الرجل من جليسه، ومن هو معه ممن يجله ويكرمه.

فهذا كله مما أمر الله به أن يوصل. اهـ المراد.

وقال الشوكاني في «فتح القدير»(٣/٩٤): **ظَاهِرُهُ شُمُولُ كُلِّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِصِلَتِهِ، وَنَهَى عَنْ قَطْعِهِ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ.**

وَيَدْخُلُ تَحْتَ ذَلِكَ صِلَةُ الْأَرْحَامِ دُخُولًا أَوَّلِيًّا، وَقَدْ قَصَرَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى صِلَةِ الرَّحِمِ، وَاللَّفْظُ أَوْسَعُ مِنْ ذَلِكَ.

﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ ومن لم يخشَ الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لا يمكن أن يصل إلى خشية الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال ابن القيم في «عدة الصابرين»(٣٠): ولا يمكن لأحد قط أن يصل ما أمر الله بوصله إلا بخشيته، ومتى ترحلت الخشية من القلب انقطعت هذه الوصل؟

فنسأل الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أن يرزقنا خشيته في السر والشهادة.

﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ لماذا يخشون ربهم؟

لأنهم يخافون ﴿ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾.

وذكر سُبحَانَهُ وَتَعَالَى خوفهم من سوء الحساب بلفظ المضارع، الدال على أن يتجدد خوفهم من الله.

﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ وهذا أيضًا من صفات المؤمنين أولي الألباب: أنهم يصبرون في السراء والضراء؛ ابتغاء وجه الله، يصبرون لوجه الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، لا لغرض آخر، لا ليقال: إنه صابر، لا للثناء والسمعة، ولكن لوجه الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، خُلُقُ الصبر الذي قليل من يوَفَّق له في السراء والضراء، وفي اليسر والعسر، في الرخاء والشدة، يصبرون على طاعة الله، يصبرون على الطريق التي توصلهم إلى الجنة.

﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ يستعينون على الصبر بإقام الصلاة؛ لأن هناك أسبابًا تعين على الصبر، وكلنا بحاجة إلى الصبر، فإقام الصلاة عون عظيم على خُلُقِ الصبر، لكن الصلاة بإقامتها، ليست صلاة من يصلي ولا يدري إلا وهو يقول: السلام عليكم ورحمة الله، كان في سفر وهو يصلي، كان ذهنه شاردًا وهو يصلي.

معنى إقام الصلاة: الإتيان بها على الوجه التام المشروع.

وذلك بأداء المستحبات والواجبات والأركان والخشوع، هذا هو الذي ينتفع بصلاته، وهو الذي يجد ثمرة صلاته، فتنهاه صلاته عن المحرمات وعن المنكرات ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فهنا ذكر ربنا سُبحَانَهُ أنهم يقيمون الصلاة، ويستعينون بالصلاة على الصبر، وكما قال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾ [البقرة: ٤٥].

﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾ [الرعد]أي: ينفقون في وجوه الخير، في السر والعَلَن.

قال ابن القيم رَحِمَهُ الله في «عدة الصابرين»(٣١): ذكر سبحانه إحسانهم إلى غيرهم بالإنفاق عليهم سرًّا وعلانية، فأحسنوا إلى أنفسهم بالصبر والصلاة، وإلى غيرهم بالإنفاق عليهم.

﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ أي: يَدفعون، يجازون السيئة بالحسنة[3]، ما يجازون السيئة بالسيئة؛ لعلُوِّ أخلاقهم، ولقوة إيمانهم، يجازون السيئة بالحسنة، يجازون السيئة بالعفو والصفح ، ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ٤٠].

---

(٣) وفي الآية تفسير آخر، وقد ذكر القولين ابن القيم في «عدة الصابرين»(٣١)، وقال: ذكر حالهم إذا جهل عليهم وأوذوا أنهم لا يقابلون ذلك بمثله، بل يدرءون بالحسنة السيئة، فيحسنون إلى من يسيء إليهم، فقال: ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الرعد:٢٢].

ويوسف نبي الله عليه الصلاة والسلام ذكر الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ما فعلوا به من المكر والخداع والكيد، والهَمّ بالقتل.. إلى غير ذلك.

ثم قال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى في نهاية قصته أنه قال لإخوته: ﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩﴾ [سورة يوسف: ٨٩]، وصفهم بالجهل، هذه الكلمة التي صدرت منه، فقالوا له: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١﴾ أي: مذنبين.

فماذا قال نبي الله يوسف؟

﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ أي: لا لوم عليكم.

هذا: وهذا من عظيم عفوه وحلمه عليه الصلاة والسلام ﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾، دعا لهم بالمغفرة.

فانظرن إلى هذا العفو لا لوم عليكم، ومن عفا عفا الله عنه، فهذا الخلق العظيم لا يقوم به إلا من أعطاه الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى صبرًا جميلًا.

ثم قال سُبحَانَهُ وتعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢﴾.

ما جزاء الذين من ضمن صفاتهم والتي من أجَلِّها أنهم يخافون سوء الحساب؟

وقد فسّر هذا الدرء بأنهم يدفعون بالذنب الحسنة بعده، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]، وقال النبي « اتبع السيئة الحسنة تمحها »، والتحقيق أن الآية تعم النوعين.

إنَّ جزاءهم ﴿ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ العاقبة الطيبة، وهي الجنة ونعيمها، كما بيَّن تَعَالَى تفسيرها بعد ذلك: ﴿ ٢٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ ﴾.

وهذا من بِشارات القرآن للمؤمنين المتقين.

وتفد الملائكة من كل باب مسلِّمين، ومهنئين لهم على هذه الكرامة، وعلى هذه الدار العظيمة، بجوار النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا، وتقول لهم: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ ﴾.

إنه ثناء بالغ على دار الجنة دار السلام، إنها نِعْم الدار، فيها النظر إلى وجه الله، فيها النعيم المقيم، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله أن يجعلنا من أهل الجنة.

إنَّ من أجَلِّ صفات المؤمن أن يخشى سوء الحساب، أن يخشى يوم الحساب ويتقيه، كما قال سُبحَانَهُ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقال سُبحَانَهُ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨ ﴾ [البقرة: ٤٨].

أي: اتقوا هذا اليوم العظيم، الذي لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئًا، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣ ﴾

[لقمان: ٣٣].

ويقول سُبحَانَهُ: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ [الانفطار: ١٩].

فلا يملك أحد لأحد يوم القيامة نفعًا ولا ضرًّا، الولد لا ينفع أباه، الزوجة لا تنفع زوجها، الأخ لا ينفع أخاه، كُلٌّ إلى نفسه، ولا يلتفت أحد إلى أحد.

فهذا اليوم العظيم يتقيه كل مؤمن ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠﴾ [الإنسان].

عبوسًا، أي: ضيقًا.

قمطريرًا: أي: طويلًا.

ثم قال سُبحَانَهُ: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ﴾ [الإنسان: ١١]، أثبت سُبحَانَهُ أن في يوم القيامة شرًّا؛ لأهواله وكرباته؛ ولما فيه من المحاسبة والعظائم.

ولماذا وقاهم الله وجنبهم كربات يوم القيامة؟

لأنهم كانوا يخافون يوم القيامة ويتقون يوم القيامة، ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١﴾ [الإنسان: ١١].

النضرة: الجمال والبهاء في الوجه.

وسرورًا، أي: سرورًا في قلوبهم، وعادةً أن الإنسان إذا سُرَّ قلبه، وانشرح صدرُهُ، يظهر النضرة والجمال والحسن والبهاء على وجهه؛ ولهذا في شمائل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه كان إذا سُرَّ استنار وجهه [٤]، وتقول عائشة رضي الله تَعَالَى عنها: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا مَسْرُورًا تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ [٥].

---

(٤) روى البخاري (٣٥٥٦)، ومسلم (٢٧٦٩) عن كعب بن مَالِكٍ، يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ تَبُوكَ، قَالَ: «فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ».

(٥) رواه البخاري (٣٥٥٥)، ومسلم (١٤٥٩).

وأسارير الوجه: هي الخطوط التي تكون في الجبهة [٦].

فهنا سُبحَانَهُ وَتَعَالَى يذكر في نعيم أهل الجنة ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢﴾، بسبب صبرهم جزاهم الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى الجنة، رزقهم الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى الجنة ولباس الحرير ﴿جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾.

وقال سُبحَانَهُ في وصف يوم القيامة: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧﴾.

أثبت الله سُبحَانَهُ الشر في يوم القيامة.

﴿مُسۡتَطِيرٗا﴾ قال ابن كثير: أَيْ: مُنْتَشِرٌ عَامٌّ عَلَى النَّاسِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ.

ولهذا المؤمن يخاف من ذلك اليوم العظيم، وإذا ذكِّر بيوم القيامة انزجر، إذا ذكِّر بيوم القيامة ارتدع، إذا ذكِّر بيوم القيامة رجع عن ذنبه؛ لأنه يخشاه ويتقيه، قال الله سُبحَانَهُ: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [المطففين]؛ ولهذا يقال للباغي، يقال للمؤذي: الموعد عند الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، الموعد يوم القيامة.

أَما وَاللهُ إِنَّ الظُلمَ شُؤمٌ	♣ وَلا زالَ المُسيءُ هُوَ الظَلومُ
إِلى الديّانِ يَومُ الدينِ نَمضي	♣ وَعِندَ اللهِ تَجتَمِعُ الخُصومُ
سَتَعلَمُ في الحِسابِ إِذا التَقَينا	♣ غَدًا عِندَ المَليكِ مَنِ الغَشومُ

فكلنا سيقف بين يدي الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى يوم القيامة، فيجب أن نحذر ذلك اليوم، وأن نخاف من الوقوف بين يدي الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال سُبحَانَهُ: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾ [الرحمن].

---

(٦) قال ابن الأثير في «النهاية»(٢/٣٥٩): الْأَسَارِيرُ: الخُطُوط الَّتِي تَجْتَمِع فِي الجَبْهة وتتكسَّر.
ومعنى تبرق كما قال ابن الأثير في «النهاية»(١/١٢٠): أَيْ: تَلْمع وَتَسْتَنِيرُ كالبَرْق.

أي: خاف الوقوف بين يدي الله سُبحَانَهُ.

وقال سُبحَانَهُ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠ – ٤١].

فمن خاف مقام الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، والوقوف بين يدي الله سُبحَانَهُ، وترك اتباع هواه، فجزاؤه الجنة، وهذا هو الفلاح كل الفلاح.

إن يوم القيامة أنذرنا الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى منه، وخوفنا من أهواله.

قال سُبحَانَهُ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر: ١٨].

يوم الآزفة: هو يوم القيامة، الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ينذرنا يوم القيامة، فمعناه أننا نستعد ونتهيَّأ ليوم القيامة بالطاعات، بأسباب النجاة، بما ينجينا من أهوال يوم القيامة وكرباتها، ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ﴾ من شدة الخوف ارتفعت القلوب إلى الحناجر، وشخصت الأبصار ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣].

أي: تنفتح فيه الأبصار، وينكشف غطاؤها ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ٢٢] يتبصر يوم القيامة ولا ينفعه ذلك، يستجيب يوم القيامة المفرط في طاعة الله ولا تنفعه الاستجابة، يتوب ويُنيب ولا تنفعه التوبة والإنابة.

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور].

تتقلب فيه؛ لهوله وشدته؛ لأنهم لا يدرون:

هل هم من الناجين أم الهالكين؟

هل يعطون كتبهم بأيمانهم أو بشمائلهم؟

هل يؤخذ بهم ذات اليمين أو ذات الشمال؟

هل هم من أهل الشقاوة أو من أهل السعادة؟

فقبل الحسرة والندامة علينا أن نستجيب قبل الموت، نستجيب لله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، ونلجأ إلى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى قبل الموت، فإن ربنا سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ينذرنا من يوم القيامة.

ووصفه الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى بأنه يوم ثقيل، قال عز وجل: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧﴾ [الإنسان: ٢٧].

فلا نؤثر –أختي في الله– العاجل على الآجل، والفاني على الباقي؛ فإن هذا من صفات الكفار، وليس من صفات المؤمنين، ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧﴾ [الإنسان: ٢٧].

يوم ثقيل؛ لطول الموقف ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤﴾ [المعارج].

يوم واحد بخمسين ألف سنة، وهذا من كربات يوم القيامة وأهوالها؛ ولهذا نبينا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: « وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ»(٧).

---

(٧) رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) عن عَبْداللَّهِ بْن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

سمعتِ –أختي في الله– فرج الله عنه كربة من كُرَبِ يوم القيامة، أثبت الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى كُرُبًا يوم القيامة، وكُرَبٌ جمع كربة.

وفي هذا حث على تفريج الكربات، كربات المكروبين المهمومين المغمومين بالتنفيس عنهم والتخفيف عنهم.

وفي «الصحيحين» [٨] عن أبي هريرة رضي الله تَعَالَى عنه في حديث الشفاعة الطويل: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي! نَفْسِي! نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا» الحديث.

« وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ » هذا من شمائل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه كان يعجبه الذراع؛ لخفة لحمه.

« فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً» أي: أخذ بأطراف أسنانه.

---

(٨) البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

« فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ» أي: في أرض مستوية، ليس فيها جبال، وليس فيها أودية، وليست كروية؛ فقد امتدت الأرض مدًّا، مدها الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى كالأديم، كالجلد حين يُمد ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣﴾ [الانشقاق].

« مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ» لم يبقَ عندهم طاقة، ولا قدرة على الصبر، بلغت المشقة أقصاها.

« فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ »؛ ليشفع لهم ويتخلصوا من كرب الموقف.

«فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي! نَفْسِي! نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي».

وهذا من كرب الموقف وأهواله، يغضب رب العباد غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله.

أي: أشد يومًا يغضب فيه رب العباد يوم القيامة.

فيوم القيامة يوم الكربات، ويوم الأهوال، يوم العظائم؛ ولهذا يشيب فيه الولدان ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧﴾ [المزمل: ١٧].

تشيب رؤوس الولدان، وما شابت رؤوسهم إلا لأهوال وكربات، ومخاوف شديدة.

وهناك الحساب، وهذا أيضًا من أهوال يوم القيامة وكرباتها، يحاسَب الإنسان على ما قدم في حياته الأولى لحياته الأخرى، وهناك من يدقَّق عليه في الحساب فيحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير، وهذا يهلك والعياذ بالله، الذي يدقق عليه في الحساب، وما أكثر ذنوبنا! « يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»(٩).

---

(٩) رواه مسلم (٢٥٧٧) عَنْ أَبِي ذَرٍّ.

ولكن من دُقِّق عليه في الحساب يهلك والعياذ بالله، روى البخاري رَحِمَهُ الله (١٠٣) عن ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٨]؟ قَالَتْ: فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكْ».

أي: من استُخرجَتْ ذنوبه كما تستخرج الشوكة بالمنقاش، فهذا يكون من الهالكين، والعياذ بالله.

فلنحاسب أنفسنا قبل أن نحاسَب ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة].

ولقد كان نبينا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يخاف من ذلك اليوم العظيم، ويخاف من رَبِّهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، مع أنه أكمل الناس عبادة لربه، وهو سيد الأولين والآخرين، وهو الشفيع للناس في الموقف بين يدي رب العالمين، ومع ذلك يخاف من يوم القيامة، ويخاف من ربه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، يقول النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّوَرِ قَدِ الْتَقَمَ وَحَنَا جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ أَنْ يَنْفُخَ؟، قِيلَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَقُولُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا»(١٠).

و« الصُّوَرِ » هو القرن الذي ينفخ فيه.

---

(١٠) رواه أبو يعلى (١٠٨٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وهو «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٤٢٢).

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: « كَيْفَ أَنْعَمُ » ويوم القيامة قادم، كيف أُقَر عينًا، كيف أُسَر قلبًا؟ ويوم القيامة قادم.

وذات ليلة دخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على عائشة في ليلتها، فقال لها: «يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي» قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟، قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الْآيَةَ كُلَّهَا [آل عمران: ١٩٠]» [(١١)].

« ذَرِينِي » أي: اتركيني أتفرغ الليلة لعبادة ربي.

«قَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي» أحيا هذه الليلة بالقيام.

ولَمْ يَزَلْ يَبْكِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، وهو الحِضن.

ولَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، ابتلَّت اللحية بالدموع؛ من خشية الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

الليلة كلها في قيام وبكاء وتضرع إلى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

حتى جاء بلال يُعْلِمُهُ بالصلاة.

وثبت عن عبد الله بن الشخير قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ، كَأَزِيزِ الرَّحَى؛ مِنَ البُكَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ[(١٢)].

---

(١١) الحديث في «الصحيح المسند» (١٦٢٧) لوالدي رَحِمَهُ اللهُ.

(١٢) رواه أبو داود رَحِمَهُ الله (٩٠٤)، وهو في «الصحيح المسند» (٥٨٦) لوالدي رَحِمَهُ الله.

« كَأَزِيزِ الرَّحَى »أي: صوت البكاء كصوت الرحى عندما تدور فيصدر منها صوت، وهو يصلي ويبكي؛ من خشية الله عز وجل ومن خوف الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع أنه أكمل الناس عبادة لربه، يخاف من يوم الحساب، يخاف من الله عز وجل، يخاف من عذاب الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

وثبت عن عبد الله بن مسعود رضي الله تَعَالَى قَالَ لِي: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ»، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»، فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]، رَفَعْتُ رَأْسِي، أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ.

«فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ» أي: تذرفان بالدموع، تذكَّرَ الموقف، تَذَكَّرَ يوم القيامة.

وأبو بكر الصديق رضي الله تَعَالَى عنه أفضل هذه الأمة بعد نبيها كان إذا قرأ القرآن لا يسمع الناس من البكاء؛ لأنه يتذكر ويتعظ بمواعظ القرآن وأوامره ونواهيه، فكان يبكي رضي الله تَعَالَى عنه [١٣].

وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرة بكى حتى اختلفت أضلاعه، كما جاء في الأثر الثابت: فَنَشَجَ عُمَرُ حَتَّى اخْتَلَفَتْ أَضْلَاعُهُ، ثُمَّ قَالَ: وَدِدْتُ أَنِّي خَرَجْتُ مِنْهَا كَفَافًا لَا لِي وَلَا عَلَيَّ[١٤].

---

(١٣)روى البخاري (٦٧٩)، ومسلم (٤١٨) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي مَرَضِهِ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْ، إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ»، فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكِ خَيْرًا.

بكى عمر بن الخطاب ونشج بالبكاء حتى اختلفت أضلاعه؛ من قوة البكاء وشدته.

« وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهَا» يعني: الخلافة؛ لأن الخلافة قيام بمسؤولية عظيمة، وإلا كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ، فَنِعْمَ المُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الفَاطِمَةُ» رواه البخاري (٧١٤٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

تُدِرُّ لهم بالأرزاق والخيرات والمسرَّات الدنيوية، لكنها تفطمهم من النِّعَمِ الأخروية، ومن العيشة الرضية؛ فلهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وكان خليفة في ذلك الوقت بكى؛ خشي أنه لم يقم بالمسؤولية، ولم يقم برعاية الرعية، فخاف على نفسه من عذاب الله، ومن الوقوف بين يدي الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأن يوم القيامة يوم الوعيد ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠﴾ [ق: ٢٠]. من أوصافه أنه يوم الوعيد، فيجب علينا أن نخشاه، و أن نتقيه.

فانظرن إلى هؤلاء الكرام، وعلى رأسهم نبينا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كيف كانوا يبكون، ويخافون من يوم الحساب.

وعثمان بن عفان رضي الله تَعَالَى عنه كان إذا وقف على القبر يبكي، وإذا ذكر له الجنة والنار لا يبكي، روى الترمذي (٢٣٠٨) عن هَانِئٍ، مَوْلَى عُثْمَانَ قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ، إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تُذْكَرُ الجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلاَ تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ

---

(١٤) رواه أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في «مسنده» (٣٠) بسندٍ حسن.

مِنْهُ». قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلاَّ وَالقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ»(١٥).

هذا دليل على أن من مات فقد قامت قيامته؛ فلهذا عثمان بن عفان رضي الله تَعَالَى عنه كان يبكي إذا وقف على القبر؛ لأنه موحِش، ولأنه أول منازل الآخرة، فمن لم يتذكر ولم يتعظ ويرق قلبه عند زيارته للقبور والوقوف فيها فأنى له التذكر؟

روى مسلم (٩٧٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ».

وعبد الله بن عباس رضي الله تَعَالَى عنهما كان يبكي، حتى إنه كان تحت عينيه كشراك النعل البالي؛ من البكاء(١٦).

يعني: علامة، والشراك: هو السير الرقيق الذي يكون في النعل على ظهر القدم (١٧).

فصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تحت عينيه علامة؛ من كثرة البكاء، فكانوا أهل خشية وخوف من الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١٥) الحديث في «الصحيح المسند» (٩٠٩) لوالدي رَحِمَهُ الله.

(١٦)عَنْ أَبِي رَجَاءٍ، قَالَ: «كَانَ هَذَا الْمَوْضِعُ مِنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ مَجْرَى الدُّمُوعِ، كَأَنَّهُ الشِّرَاكُ الْبَالِي» أثر أبي رجاء أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٩٩)، وفي «معرفة الصحابة» (٣/رقم ٤٢٧٢)، من طريق معمر، عن شعيب، عن أبي رجاء. وشعيب هو: ابن الحبحاب، تابعي ترجمته في «تهذيب الكمال» برواية معمر عنه، وهو: ثقة.

وأبو رجاء هو: عمران بن ملحان، والأثر صحيح.

وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٢٩٦) من وجه آخر عن أبي رجاء.

(١٧) ذكره في « التبيان في آداب حملة القرآن».

فعلينا أن نستعد لذلك اليوم العظيم، وأن نسلك الأسباب التي نكون فيها من الآمنين يوم القيامة.

وإن أعظم سبب للأمن والأمان يوم المعاد:

توحيد الله سُبحَانَهُ وَتعَالَى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

فالتوحيد والعقيدة أعظم سبب في الأمن يوم القيامة.

ومن ذلك أيضًا: تقوى الله سُبحَانَهُ وَتعَالَى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [يونس].

الاستقامة على شرع الله سُبحَانَهُ.

اتباع ما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من أسباب الأمان يوم القيامة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾

[فصلت] ﴿تَدَّعُونَ﴾، أي: ما تطلبون.

فلا تشغلنا دار الدنيا وملهياتها وزخارفها وزينتها عن الآخرة، فنكون من الخاسرين.

أسال الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى أن يجعلنا من الآمنين يوم التناد، ونعوذ بالله من الخزي والعار يوم القرار، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والحمد لله رب العالمين.

تم نشر هذه المحاضرة ولله الحمد والمنة.

ليلة السبت الموافق ١٠/من شهر شوال/لعام ١٤٤٥ للهجرة النبوية

على صاحبها الصلاة والسلام.